الأهرام

المصدر :

التاريخ :

رغم المقاومة الشرسة

روسيا لن تقبل باستقلال الشيشان مهما طالت الحرب

لاشك ان المتتبع للأحداث الساخنة التى دارت وما زالت فى القوقاز الشمالى سوف يعزى ما يجرى من قتال عنيف وحرب مستعرة إلى مجموعة أسباب داخلية وخارجية دفعت صناع القرار فى الدولة الروسية إلى خوض حرب ضروس واجتياح جمهورية الشيشان للمرة الثانية خلال أقل من نصف عقد.

ونحن لا نشك فى هذا التحليل لحظة واحدة، لكن هذه الأسباب، سواء ارتبطت بالأوضاع الداخلية الروسية أو بدوافع خارجية من قبل قوى دولية واقليمية هدفها اضعاف وتفتيت روسيا للقضاء على ما تبقى من عناصر قوتها، ولا تفسر لوحدها هذه الحرب التى تنطوى على مآس إنسانية كبيرة وتهجير لشعب بأكمله دون أى تحرك فعال للمجتمع الدولى.

فالحقيقة إن الأسباب أبعد وأعمق مما نراه أمام اعيننا ونطالعه فى الصحف وتتضح هذه الحقيقة جليا إذا ما استعرضنا تاريخ العلاقة بين الدولة الروسية والشعب الشيشانى، ولاشك فى أن حقائق التاريخ والجيوستراتيجيا كانت قريبة وحاضرة فى أذهان صناع القرار المسئولين عن هذه الحرب.

وهكذا فإن الوصية التى وضعها القيصر الروسى «بطرس الأكبر» عام «١٦٨٩ـ ١٧٢٥» والرامية إلى الاستيلاء على البحرين «الأسود وقزوين» وبلوغ مضايق الدردنيل لم تكن محض حلم بالتوسع الامبراطورى بقدر ما كانت عن إدراك سياسى واستراتيجى عميق لأهمية هذه المنطقة لقوة ومكانة الدولة الروسية.

وقد خاضت روسيا صراعا اقليميا مع كل من جارتيها «الدولة الفارسية والدولة العثمانية» للسيطرة على هذه المنطقة والتى تمكنت منها منذ القرن السادس عشر وحتى الآن، ولكن هذه السيطرة لم تكن سوى تاريخ حافل بالمآسى والصراعات الدموية بين الدولة الروسية والشعب الشيشانى الذى لم تستطع سنوات الاحتلال الطويلة من إذابة شخصيته أو طمس هويته القومية أو قتل نزعته الاستقلالية التى جسدها من خلال العديد من الثورات وعمليات المقاومة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

روسيا فشلت فى القضاء على المقاومة الشيشانية

الطويلة للسيطرة الروسية، وقد كانت أول ثورة قام بها الشعب الشيشانى فى الفترة «١٧٨٣ ـ ١٧٨٥» بقيادة الإمام منصور ثم أعقبتها سلسلة من الثورات وأعمال المقاومة كانت أبرزها المقاومة التى قادها الإمام محمد شامل للفترة من عام «١٨٣٤ ـ ١٨٥٩».

إن الثورات والمقاومة العنيدة التى أبداها الشعب الشيشانى، على مدى تاريخه، قابلها الروس بأبشع عمليات القمع والإبادة الجماعية والتهجير، فكانت عملية التهجير الأولى عام «١٨٦٥» حيث صدرت أوامر الحكومة الروسية بتهجير أهالى الشيشان إلى أراضى الدولة العثمانية، وقام الجنرال الروسى «كارستوف» بتنفيذ عملية التهجير فى صيف السنة ذاتها وبدأت الهجرة عن طريق البر وعبر الأودية والثلوج ومجارى السيول والانهار والصخور وكان عدد المهجرين قرابة مليون وأربعمائة الف، وصل منهم إلى أراضى الدولة العثمانية حوالى مليون ومائة ألف، وقضت خمسة الاف عائلة شيشانية حوالى ستة أشهر تحت السماء العارية.

أما عملية التهجير الثانية، فكانت فى شباط عام «١٩٤٤» حيث صدرت أوامر «ستالين» بمعاقبة قوميات كل من: الشيشان، الانغوش، التتار، البلغار، الكالموك، كراجيا، الشركس وبعض الأرمن واليونان والجورجيين، والاستونيين، بتهمة الخيانة العظمى بسبب تعاونهم مع الالمان خلال الحرب العالمية الثانية، وكان عدد المهجرين حوالى ستمائة الف مواطن، وكانت الهجرة هذه المرة إلى سيبيريا، حيث استمرت عملية التهجير حوالى شهر مات خلالها الآلاف فى ثلوج سيبريا.

ورغم إن الكثير من أبناء القوقاز وقفوا إلى جانب القوات السوفيتية إلا إن روح الانتقام كانت هى الدافع الذى أراد منه «ستالين» التخلص من مشكلة القوقازيين الشماليين الثائرين، ولم يكتف «ستالين» بهذا بل أعقبه بإصدار مرسوم عام «١٩٤٦» يقضى بإلغاء الحدود الوطنية لبلاد الشيشان ـ انغوش والتتار، ولمدة عشر سنوات لم يكن لهذه المجموعات القومية أى وجود معترف به ولن يكون لها أى ممثل فى مجلس سوفيات القوميات، على ان القادة السوفيت، قبل «ستالين» ادركوا حقيقة التطلعات الاستقلالية للشعب الشيشانى مبكرا وكان أن انشئت جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتى عام ١٩٢٤، وفى عام ١٩٣٤ دمجت مع جمهورية الانغوش حيث تشكلت جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتى وقد الحقت بجمهورية روسيا الاتحادية منذ ذلك الوقت وحتى الآن.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى وانفصال الكثير من الجمهوريات عنه، أعلنت جمهورية الشيشان الاستقلال عام ١٩٩١ الذى لم تعترف به روسيا، ومن جانبها رفضت جمهورية الشيشان التوقيع على وثيقة الاتحاد عام «١٩٩٣»، وقد لجأت روسيا، الغارقة فى مشاكلها آنذاك، إلى فرض الحصار الاقتصادى وتغذية حركة المعارضة الشيشانية ودعمها بالمال والسلاح والإعلام لإفشال الحركة الاستقلالية، وبعد أن فشلت تلك المحاولات قامت القوات فى ١٩٩٤/١٢/١١ باجتياح الأراضى الشيشانية، لكن المقاومة التى أبداها الشيشانيون أفشلت هذه الحملة مما اضطر الروس إلى التوقيع على اتفاق ابرم فى مارس عام ١٩٩٧ ينص على منح جمهورية الشيشان وضعا خاصا وإجراء استفتاء على الاستقلال بعد خمس سنوات من تنفيذ الاتفاق.

وبغض النظر عن الظروف والمسببات التى أدت إلى الحرب الأخيرة فى الشيشان فإن الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للشيشان، بالنسبة لروسيا، أكبر وأهم من الطموحات والنزعة الاستقلالية لشعب الشيشان، وإن طبيعة العلاقة بين الطرفين والتى اتسمت بصراع طويل لن تحسم باحتلال الأراضى الشيشانية أو فرض نظام موال لموسكو فيها، ذلك إن الروس يدركون قبل غيرهم صعوبة السيطرة على شعب توارث تاريخا طويلا من العداء لهم ودفع انهارا من الدماء ثمنا لتطلعه إلى الاستقلال والحرية ومن جانبه فإن الشعب الشيشانى أكثر استحقاقا للاستقلال امام موجات التفتيت والانفصال التى رافقت النظام العالمى الجديد خلال حقبة التسعينيات.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية